

أحياء أم درمان القديمة في فترة الدولة المهدية (سياحة أثرية) 1885 - 1898م

باحثة آثار

أ. تسنيم حمد صلاح الدين حمد الملك

مستخلص:

تتناول هذه الورقة بالدراسة والتحليل أحياء أم درمان عاصمة الدولة المهدوية في عهد الخليفة عبدالله التعايشي ومن أهمها بيت المال والملازمين وود نوباوي وحي الأمراء وغيرها. تنبع أهمية هذه الدراسة من موضوعها حيث شكلت هذه الأحياء المكونات الأساسية لعاصمة الدولة الوليدة حيث كان لكل حي ظروف خاصة به عند تكوينه ومظاهره الثقافية المميزة، فضلاً عن أن موضوع الدراسة لم يجد حظه من الاهتمام مما يشكل محوراً مهماً في دراسة آثار وتاريخ الدولة المهدية.

Abstract:

This paper deals with the study and analysis of the neighborhoods of Omdurman, the capital of the Mahdist state during the reign of the Caliph Abdullah Al-Ta'ishi, the most important of which are the Bait Al-Mal and Al-mulazmeen, Wad Nubawi, the neighborhood of Al,umara, and others. the importance of studying :The importance of this study stems from its subject, as these neighborhoods formed the basic components of the capital of the nascent state, as the neighborhood had special circumstances when it was formed and its distinctive cultural manifestations, as well as the subject of the study did not find its share of attention, which constitutes an important focus in the study of the archeology

and history of the Mahdist state.

Objectives of the study: . Describe the neighborhoods of Omdurman during the caliphate era and their architectural styles, studying the names of Omdurman neighborhoods and clarifying their meanings. Trace the features of the manifestations, the cultural and social continuity of Omdurman neighborhoods. Study Approach :Descriptive archaeological method.

1 _ أهداف الدراسة:

وصف أحياء مدينة أم درمان في عهد الخليفة وطرازها المعماري و دراسة أسماء أحياء أم درمان وبيان دلالاتها، وتتبع ملامح مظاهر الاستمرارية الثقافية والاجتماعية لأحياء أم درمان.

2 _ منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج الآثاري الوصفي والتاريخي . .

مقدمة:

تعتبر مدينة أم درمان عبارة عن سودان مصغر مما أعطاهها أهمية اجتماعية وثقافية وسياسية ، فهي مدينة تاريخية بمعنى الكلمة. فهناك آثار عريقة تتحدث عن هذه الأهمية، حيث نلقى الضوء من خلالها علي حقبة مهمة من تاريخ السودان الحديث، وهي الدولة المهدية في السودان، وبالطبع توثق وتؤرخ لهذه الحقبة المهمة مدينة أم درمان، فهي مثار جدل ونقاش كثير من الباحثين في مجال التاريخ، خاصة ما كتبه عنها الكتاب الغربيون أمثال سلاطين باشا وغيرهم.

تهدف هذه الورقة إلى إبراز فترة الدولة المهدية في مدينة أم درمان، ومعرفة الجوانب الأثرية والتاريخية ومحاولة وضع لمحة أثرية متكاملة من خلال الثقافة المادية والاجتماعية المتمثلة في أحياء أم درمان كإرث ثقافي وحضاري يدخل ضمن قانون الآثار الاتحادي لسنة 1999م - والولائي لسنة 2009م والذي ينص على أن كل المباني والصروح والقطع التاريخية التي مر عليها مائة عام أو أكثر تعتبر من الآثار وعلى الدولة واجب حمايتها والحفاظ عليها ، (قانون الآثار العام، 1999م،

قانون الآثار ولاية الخرطوم، 2009)، حيث أصبحت هذه المباني تحظى باهتمام آل المهدي، كما أصبحت تراثاً قومياً يهم كل السودانيين، والعالم أجمع لما أحدثته الثورة المهديّة قديماً من حراك وأحداث في تلك الفترة.

خلفيه تاريخية:

بعد فتح الخرطوم على يد الإمام المهدي في 26-1-1885م اتخذ أم درمان سكناً له، وكذلك اتخذها من بعده الخليفة عبد الله مقرأً له، حيث صرح الخليفة بأن أم درمان هي مدينة المهدي المقدسة. وقد كانت هذه المدينة قبل المهدي عبارة عن منطقة صغيرة إلا أنها أصبحت منطقة مأهولة بالسكان بعد سكن المهدي والخليفة فيها، حيث تم تخطيطها وتنظيمها على حسب طراز المدن الإسلامية بحيث يتوسط المسجد المدينة والسوق. وكان السكان في البداية، بالقرب من النيل لسهولة الحصول على المياه، وبالفعل أنشئت آلاف من الأكواخ المصنوعة من القش، عدا الجامع الكبير الذي به حائط مبنى من الطين، ثم لاحقاً بنى بالطوب المحروق وتم تبييضه بواسطة بعض البنائين العرب، ثم اتخذ الخليفة لنفسه ولأقربائه بيوتاً من الطين اتبعهم في ذلك الأمراء وكذلك أغنياء أم درمان الذين بنو بيوتاً من الطين. انظر الخريطة (1).



صورة رقم (1 - ب) مجسم يوضح أحياء ومعالم "أم درمان القديمة".



صورة (1 - أ) خريطة توضح كل أحياء ومعالم «أم درمان القديمة»



صورة (1ب) توضح كل أحياء أم درمان القديمة في فترة المهديّة

حي الموردّة:

يعتبر هذا الحي من الأحياء القديمة، والعريقة ولعله بدأ مع نشوء بقعة المهدي الذي اتخذ من قرية أم درمان الصغيرة مقراً لفترة المهديّة، حيث بدأ الخليفة عبد الله في بناء هذه المدينة، وجلب المراكب الشرعية تحمل الأخشاب والحطب والمواد الغذائية من الشمال والشرق والجنوب لتعود إلى أم درمان في شاطئ النيل شمال بيت المهدي وبيت الخليفة، ولذلك أطلق على هذا الحي من خور أبو عنجة حتى سوق أم درمان الموردّة. من أهم معالم هذا الحي، هو ”سوق الموردّة“ فهو من أقدم واعرق الأسواق في أم درمان. (انظر الصورة رقم 1). (شكاك -2006-ص1).



صورة (1 أ) لسوق "الموردة" في ثمينيات القرن التاسع عشر صور (1ب) لسوق "الموردة" حاليًا



صورة (1 ج) صورة عامة لحي "الموردة" حاليًا

حي الربيع:

الربيع هو اسم علم مشهور بمدينة أم درمان، وهو أحد قادة الثورة المهدية ومحاربيها الأفاضل، فقد أطلق اسم القائد الربيع علي هذا الميدان الذي أعدم فيه عقابًا له علي بطولاته التي قدمها في فترة الخليفة، وذلك بأمر سلاطين باشا بعد موقعة كرري ودخول الإنجليز للسودان. وتم تشييد مركز شباب حي الربيع في ذلك الميدان تخليدًا لذكراه. ومن أهم معالم هذا الحي هو " ضريحه " الذي يقع في الناحية الغربية من الميدان. (انظر الصورة رقم 2)، (نفس المرجع - ص 17).



صورة (2أ) يوضح المقر الذي دفن فيه "القائد الربيع
صورة (2ب) توضح "ميدان
الربيع "حاليا
أحد القادة في فترة المهدية
المكان الذي أعدم فيه القائد الربيع



صورة (2ج) عامة عامة لحي "الربيع" حاليا

حي الأمراء:

يقع حي الأمراء في الجزء الشمالي من العباسية غرب، وكان يسكنه أمراء المهديّة من أبناء الخليفة عبد الله وأقاربه الذين أسروا في سجن رشيد بمصر، وتم نقلهم إلى مدينة عطبرة. ويقال إن هذا الحي خصص لهم ليكونوا في ناظري مفتش المركز البريطاني حتى يضمن مراقبتهم خوفاً من أي حركة أو ثورة .

من أهم الأسر التي سكنت الحي “آل مخير” وهو أحد أمراء المهديّة “وآل الخليفة علي ود حلو”. (انظر الصورة رقم 3)، (نفس المرجع -ص17-20).



صورة (3أ) توضح منزل “الأمير مخير” حالياً يسكنه أحد مواطني الحي “أحفاده”
صورة (3ب) توضح منزل “الأمير ود حلو” حالياً يسكنه



صورة (3ج) توضح منزل السيدة “أم كلثوم بنت الإمام المهدي ” صورة (3د) عامة لحي حالياً يسكنه جزء من “أحفادها”
الأمراء حالياً

حي العباسية شرق:

يقع في الجزء الشرقي من شارع الأربعين، ويمتد إلى شارع الموردة من الناحية الشرقية إلى خور أبو عنجة جنوباً، وهناك بعض الروايات حول تسمية العباسية. ومن أهم المعالم في هذا الحي “قبة الشيخ البدوي ” رجل الدين الذي

تتلمذ علي يده الإمام عبد الرحمن المهدي، والذي عاصر فترة المهدية، وحكم خليفة المهدي. ومن أهم الأسر التي سكنت هذا الحي هم “آل السيد الصديق المهدي” الذي نشأ وترعرع في هذا الحي و”السيد الصادق المهدي”. كما أن هذا الحي تم اختياره من قبل الإمام عبد الرحمن ليسكن فيه، وكان محل الزيارة لأبناء أم درمان والوافدين من الأقاليم. ولقد عاش الإمام عبد الرحمن المهدي في هذا الحي أطول فترة في حياته ونشأ وترعرع في هذا الحي السادة ”آل المهدي وآل داوود الخليفة عبد الله. (انظر الصورة رقم 4)، (الذهب ب،ت-ص4 - 5)



صورة (4أ) توضح قبة “الشيخ البدوي” أحد الشيوخ صورة (4ب) توضح سرايا الإمام عبد رحمن ”حاليا

الذين عاصروا فترة المهدية تسكنه ”أسرة“ بحى العباسية شرق



صورة (4ج) عامة لحي العباسية شرق

حي الملازمين:

ويطلق على هذا الحي اسم حي السور لأن الملازمين هم حرس الخليفة عبدالله خليفة الإمام المهدي الذين كانوا يسكنون في هذه المنطقة أيام المهديّة بالقرب من بيت الخليفة، وقبة الإمام المهدي، ومنزل شيخ الدين ابن الخليفة، وكان ذلك السور يحيط بهذه المنطقة من بوابة عبد القيوم حتى حدود سكن الملازمين جنوب بيت المال.

ومن أهم معالم هذا الحي الحائط الشرقي "لمدرسة الأهلية" فهو جزء من السور "سرايا البحر" كما كان يسميها الإمام عبد الرحمن المهدي، وهي تقع علي شاطئ النيل، حيث كانت ترسو بالقرب منها "الباخرة الطاهرة". فاليوم تسكن هذه السرايا آل السيد أحمد المهدي. (انظر الصورة رقم 5)، (عامر، 2013م، ص 71).



صورة (5ب) توضح ضريح "الشيخ جليس" أحد شهداء "فترة المهديّة"



صورة (15) توضح سرايا البحر في فترة المهديّة
حاليا منزل "الإمام أحمد المهدي"



صورة (د5) توضح
حي الملازمين حالياً



صورة(5ج) توضح جزءاً من سور الملازمين
في "فترة المهدية"

حي الركابية:

هذا الحي العريق من أوائل الأحياء التي أقيمت في أم درمان مع فترة المهديّة وقيام بقعة المهدي، وذلك عند ما أحضر الخليفة عبد الله بعض المواطنين من الأقاليم وأقام لهم الأحياء المختلفة وكان من نصيب هؤلاء هذا الموقع المتميز في مدينة أم درمان.

ومن أهم الأسر في هذا الحي أسرة "آل كاشف" أو زريبة الكاشف لأنها تعتبر من أهم وأكبر الأسر التي سكنت الحي. ومن أهم معالم الحي زاوية "مرسي الشيخ". (انظر الصورة رقم 6). (نفس المرجع ، ص ، 74).



صورة (أ) توضح زاوية الشيخ مرسي تم تأسيسها في 1883م
صورة (ب) توضح منزل آل كاشف حاليا يسكنه "أحفاده"



صورة (ج) صورة عامة لحي الركابية

حي القلعة:

وهو من الأحياء القديمة التي نشأت في أم درمان عقب تأسيسها في العام 1885م، وهناك عدة آراء حول تسمية هذا الحي باسم القلعة، الرأي الأول: يقال إنه سمي بالقلعة نسبة للمكان الذي نشأ فيه الحي حيث يتميز بالارتفاع

والعلو عن الأماكن المحيطة به، وهنالك رأي ثانٍ يقول سمي بقلعة ” صالح جبريل“ والاسم مأخوذ من العم صالح باعتباره شيد قصراً ذا طراز معماري متميز من بقية مباني الحي، وهنالك رأي ثالث : يقول إن المجموعة من أبناء الفتيحاب سكنت جزءاً من الحي سمي بقلعة الفتيحاب. ويحده من الجنوب شارع أبو روف، وشمالاً المجري الرئيسي الذي يمر جنوب مسجد الشيخ قريب الله وشرقاً شارع الهجرة وغرباً زريبة الكاشف. ومن أهم معالم هذا الحي ” مقابر الشهداء، قصر صالح جبريل، والآبار القديمة“ التي كانت تستعمل قبل دخول طلسمات المياه (انظر الصورة رقم 7). (الذهب- ب، ت- ص10).



صورة (أ7) توضح جزءاً من ”مقابر شهداء كرري“ بحي القلعة صورة (7ب) توضح قصر ”صالح جبريل“ أول قصر تم بناؤه في حي



صورة (7ج) عامة لحي القلعة حالياً

حي أبو روف:

ويقع هذا الحي شمال حي بيت المال وغرب النيل قبالة شمبات على الضفة الشرقية وجنوب حي الدباغة، وهو حي عريق وقديم نشأ منذ فترة المهديّة، ويقال إن اسم أبو روف الذي أطلق عليه جاء من اسم علي أبو روف وهو علي إبراهيم شاع الدين، وكان من كبار رجال المهديّة والأمير النور عنقرة. ورأي آخر يقول إن الاسم أخذ من رئيس قبيلة رفاعة ”الهوي“ الشيخ مالك أبو روف” الذي اتخذ من هذه المنطقة سكناً له. وهناك رواية ثالثة أوردها الشاعر القومي محمد بشير عتيق وقال فيها إن أصل هذه التسمية ترجع لأحد مواطني مدينة سنجة من مركز ”أبو حجار“ الذي حضر إلى أم درمان واستقر في هذه المنطقة، حيث أنشأ ورشة لصناعة المراكب والسواقي، ومن ثم توافد الناس وسكنوا من حوله. وفي اعتقادي أن التسمية الأولى هي الأقرب واتخذ الاسم من أحد قيادات المهدي علي أبو روف. ومن أهم معالم أبو روف ”سوق الشجر“ فهو عبارة عن سوق صغير وقد بدأ في شكل عشوائي إذ كان هناك رجل يدعي ”آدم“ جاء من مدينة دنقلا واستقر في ذلك المكان وكان من التجار الذين يتاجرون في ”اللالوب“ ويبدو أن بذرة اللالوب غرست في الأرض ونمت من الماء الذي اعتاد العم آدم أن يتوضأ بها وأصبحت شجرة ظليلة اجتمع حولها التجار، وطلق عليها شجرة آدم وتطورت المنطقة حتى صارت اليوم باسم سوق الشجرة واختفى منه اسم آدم. ومن أهم المعالم التاريخية ”ثرب أبو حبيب“ ويقال إن حبيب هذا جاء إلى هذه المنطقة ومعه مجموعة من عشيرته، وعرفت باسم ثرب أبو حديد. وفي رواية أخرى يقال إن عشيرته كانوا يستقلوا مركباً وغرقت بهم بالقرب من هذه المنطقة لقربها من نهر النيل. وفي رواية ثالثة أنها مقابر لبعض من شهداء كرري وعرفت بثراب أبو حبيب). انظر الصورة رقم (8)، (شكاك -2006-ص99).



صورة (8أ) توضح مقابر "أبو حبيب" أحد الشهداء في فترة المهدية
صورة (8ب) توضح منزل الأمير "النور عنقره" حالياً منزل "أحفاده"



صورة (8ج) عامة لحي أبو روف

حي الهجرة:

سمي بدار الهجرة لأن الخليفة عبد الله كان يقيم فيه عندما يقوم بتوديع القوات المتجهة إلى الشمال، فكانت العادة أن يسير معها حتى كرري، وقد صار هذا الأمر سنة منذ أن سار المهدي مع قوات النجوم المتجهة إلى الشمال حتى كرري وودعهم فيه. وأيضاً كان هنالك موضعان آخران للهجرة تعسكر فيها القوات القادمة إلى المدينة والخارجة منها وهي "شجرة المهدية" لقوات الجنوب والغرب وقبة "الشيخ خوجلي" لقوات الشرق.

ومن أهم الأسر التي سكنت هذا الحي هي أسرة “آل حسن داوود” من كبار رجالات الأنصار ومن كبار قادة حسب الأمة. ومن أهم معالم الحي “دار الخليفة عبد الله ود تورشين ودار الخليفة علي د حلو” ومنزل “أبو جكة” الحارس الشخصي للخليفة عبد الله. (انظر الصورة رقم 9) ، (أبو سليم -1979م-ص 91).



صورة (9أ) توضح منزل الحرس “أبو جكة” في فترة المهدية صورة (9ب) منزل الأمير داود الحلو الآن هو منزل حسن داود وحاليا منزل أحد سكان الحي بالهجرة حفيده



صورة (9ج) توضح “شجرة المهدية” داخل صورة (9د) توضح حي الهجر بصورة عامة “مقابر الحضرة” منذ فترة المهدية

حي العمدة:

هو الحي الذي يقع في تلك الأرض الطيبة من أم درمان والذي أخذ اسمه من ركانز المهدية المرحوم "السيد العوض" الذي كان أميناً للزكاة في المهدية وعين أول عمدة لأم درمان، وطلق على الحي الذي اتخذته سكناً له بحي العمدة تيمناً بالعمدة وبعد وفاته ألت العمودية لابنة "عبد رحمن السيد العوض" وبعد وفاته في العام 1963 رحمة الله عليه لم يأت من بعده عمدة إذ ألغيت العموديات في العاصمة وتخلت العمودية بوفاة العمدة الذي يشغل المنصب، وبدأ الإلغاء "بالعمدة كرم الله" ثم العمدة "مقبول السيد العوض". "ومن أهم معالم هذا الحي جامع "الشيخ مرزوق" وجامع "الشريف البتي" ومدرسة "الهجرة" التي تحولت إلى مدرسة "الركابية". (انظر الصورة رقم 10، (نفس المرجع-ص 69).



صورة (10أ) توضح منزل العمدة "السيد العوض" أمين زكاة المال صورة (10ب) توضح جامع والعمدة في فترة المهدية في 1887 الشيخ مرزوق تم تأسيسها



صورة (10ج) توضح مسجد "الشريف البتي" تم تأسيسه صورة (10د) توضح حي العمدة بصورة عامة في ثمانينيات القرن التاسع عشر

حي ودنوباوي:

هو من أوائل أحياء أم درمان التي وزعها الخليفة المهدي للقادة وكانت باسم القائد "محمود النوباوي" وسمي بالنوباوي لسميته الداكنة وطوله الفارع وضخامة جسمه بما يشبه أبناء جبال النوبة والبعض يقول إنه نوباوي من تلك الجبال، ويقال إنه هو القائد الذي قتل غردون باشا وأخذ رأسه للأمام المهدي عليه السلام. وهذا الحي يقع غرب حي الهجرة، وشمال حي القلعة، وشرق حي العمدة، وجنوب مقابر أحمد شرفي ويعتبر هو في حدود أم درمان الشمالية قبل ظهور الثورات ومدينة النيل وغيرها من إضافات جديدة في أم درمان. وأيضاً نلاحظ بأن هناك استمرارية للمهدية الحديثة في هذا الحي. ومن أهم معالم هذا الحي منزل "محمود ودنوباوي" وحديثاً جامع "الإمام عبد الرحمن المهدي"، ومن أهم الأسر التي تسكن هذا الحي أسرة "الأمير نقد الله" وأسرة السيد "عبد الله الفاضل". (انظر الصورة رقم 11)، عامر - 2013م - ص 73.



صورة (11أ) توضح منزل الأمير محمد ودنوباوي "صورة (11ب) توضح مسجد "الإمام عبد الرحمن" حالياً تسكنه حفيده
الآن بحي ود نوباوي



صورة (11ج) عامة لحي ود نوباوي حالياً

حي العرب:

ويعتبر من أقدم وأعرق الأحياء في أم درمان فقد كان موجوداً قبل دخول المهدي عليه السلام البقعة وإنشاء أم درمان إذ كانت المنطقة الواقعة غرب أم درمان منذ عام 1875م وهي كانت خلاء ليس فيها سوى الأشجار وكانت تلك المنطقة مركز تجمع العرب الذين يأتون من الخلاء قاصدين نهر النيل لشرب مواشيهم وجلب الماء لذويهم في المناطق غرب المنطقة وظل هذا الحال حتى قيام الثورة المهدية فكانوا يردون الماء ويبيعون المواشي لسكان أم درمان بقعة المهدي. وبعد دخول الإنجليز قامت الحكومة بتوزيع تلك المنطقة أراضٍ سكنية، وظهر حي العرب بصورته الحالية، ويعتبر من الأحياء الأولى التي احتضنت طلاب العلم وحفظة القرآن لكثرة الخلاوي والمساجد، وقد جمعت الطرق الصوفية إذ يوجد بالحي ” الطريقة القادرية ، والأحمدية والإسماعلية والدسوقية والبرهانية والختمية ثم الأنصار“

ومن أهم معالم الحي ”عصارات الزيوت التقليدية“ التي تدار بالجمال وأول ”لاسلكي“ للبوستر وحوش ”الإبل“. (انظر الصورة رقم 12) ، (الذهب -ب،ت- ص 59-50).



صورة (12أ) ماتبقى من ”حوش الإبل“ في فترة المهديّة صورة (12ب) عامة لحي
حاليا يسمى ”بحوش الإبل“ العرب حاليا

حي المسالمة:

عندما اختار الإمام المهدي أم درمان مقرأً له ولدولة المهديّة أطلق عليها بقعة المهدي، وكان من ضمن الذين تجمعوا في هذه المدينة إخوة من الأقباط المسيحيين، وفي عهد خليفة المهدي اعتنقوا الإسلام، وسكنوا في هذه المنطقة من أم درمان عند سقوط أم درمان بعد موقعة كرري، وانقسمت هذه المجموعة إلى مجموعتين:

إحدهما عادت إلى دينها الأول المسيحية، والأخرى استمرت في دين الإسلام وأطلق على هذه المنطقة حي المسالمة وترجع التسمية إلى الذين دخلوا الإسلام في المهديّة وصارت هنالك بعض الأسر التي ينتمي منها جزء للمسلمين وجزء آخر للمسيحيين وهم جميعاً الأقباط. ومن أهم معالم هذا الحي ”الكنيسة القبطية“ والتي تعتبر لفترة طويلة الكنيسة الوحيدة في أم درمان، وفي هذه الكنيسة العريقة يقيم الإخوة الأقباط طقوسهم الدينية من صلاة وتعميد وتأبين بل مراسم الدفن، وحفلات الزفاف وغيرها، ومدرسة الراهبات“ التي تعتبر ثاني أكبر دار للعلم أقامها المبشرون عند دخولهم للسودان ”، ومدرسة الأقباط “. (انظر الصورة رقم 14) ، (نفس المرجع ، ص 85-83).



صورة (14) عامة لحي المسالمة حالياً

حي بيت المال:

يقع هذا الحي بالقرب من نهر النيل، وشمالاً حتى الدباغين، وغرباً حتى حي السيد علي، جاءت تسمية الحي من بيت المال العمومي للمهدية، والذي كان يوازي في الوقت الحاضر وزارة المالية ومخازن الدولة، حيث يعتبر دوره مهماً في دولة المهدية، وأيضاً كان يتم نقل البضائع الواردة بالطريق النهري عبر هذا الحي.

ومن أهم معاملته ” مصنع العملة وبيت مال الملازمين، ومنازل كتبة بيت المال، وأمنائه، ثم سوق الرقيق“. (انظر الصورة رقم 15)، (عبد القادر -2005- ص 97).



صورة (15) عامة لحي بيت المال

حي العرضة:

كانت من المواسم المهمة العرضة، أي العرض الأسبوعي للجيش، وكانت العرضة تقام يوم الجمعة في موضع بغرب المدينة يقال له العرضة، وكانت العادة في عهد الإمام المهدي أن تجمع الرايات خلف الإمام المهدي فيسير بها إلى مكان العرضة، ويقبل الجيش على الاستعراض وعلى التدريب وكان محظوراً على المجاهدين إطلاق السلاح الناري داخل المدينة أثناء سير أو ركوب الخيل تجنباً من ازدحام المدينة. وفي عهد الخليفة عبد الله تغير نظام العرضة بعض الشيء، إذ إن الخليفة كان يذهب لاستعراض الجيش بعد تنظيم راياته في العرض، وقد عدل الخليفة عن حضور العرض الأسبوعي وصار يتولى ذلك بالنيابة عنه أخوه ” الأمير يعقوب بن محمد“ كبير أمراء الراية الزرقاء وساعده الأيمن أو أخوه ” السنوسي أحمد.

أما العروض السنوية فكان يحضرها الخليفة بنفسه أو ينوب عنه أمير أمراء أكبر الرايات ويده اليمنى وأمير رايته ”السنوسي أحمد“، وليس في ذلك حرج لأن استعراض الجيش أمر تنظيمي بحت ولا يتصل بولاية العهد. انظر صورة (رقم 16)، (أبو سليم، 1979م، ص 107).



صورة (16) عامة لحي العرضة حالياً

الموروث الثقافي بأحياء أم درمان القديمة:

يعتبر الموروث الثقافي من أهم العادات والتقاليد المتبعة منذ الفترات القديمة حتى يومنا هذا فيلاحظ أن هذه الموروثات الثقافية ما زالت مستمرة ومتوارثة أبا عن جد داخل أحياء أم درمان القديمة ، ومن أهمها “مراسم الزواج، العادات الاجتماعية، الختان، وتقاليد الموتى وغيرها ” ومما تشير إلى الهوية داخل المجتمع المعين بصورة خاصة والمجتمع السوداني بصورة عامة وسوف نتطرق بصورة عامة لهذه الموروثات وهي كالتالي:-

مراسم الزواج لأحياء أم درمان القديمة:

اتسمت مراسم الزواج في أحياء أم درمان القديمة بطابع شعبي لا تزال بقاياها متوارثة من حيث الفكرة إلى الآن. مثال لذلك الطقوس التي كانت تستخدم قبل الزواج مثل: ” دق الشلوفة، الدلال، المشاط ، والعنقريب والبرش وغيره ” وهو يعرف عند أهل أم درمان ” بالقعودة“. (أمل -1991م- ص 40).

العادات الاجتماعية المتصلة بدورة الحياة بأحياء أم درمان القديمة:

عندما تستقبل الأسرة مولوداً جديداً فإنها تحتفل به احتفالاً كبيراً وتحرص على أن يشارك الجميع من الأهل والأقارب والجيران والمعارف بقدر الإمكان في الفرح بمولودهم الجديد، حيث يعرف في أم درمان القديمة بـ "ميلاد الطفل" حيث تكون له طقوس مصاحبة مثل: "العقيقة، بخور التيمان، التمام المعروفة بالحراسات، سيرة النيل. (إيمان، 2006م، ص 95-97).

الختان داخل أحياء أم درمان القديمة:

الختان أشبه بالزواج الأصغر وهو مناسبة سعيدة تجمع الناس في أحياء أم درمان، وتقام الولائم والاحتفالات. حيث تكون له طقوس مصاحبة مثل: "البخور عند الغروب والشروق" وأخذ المختون للنيل في العصر للمباركة، لإجراء عملية غسل له من ماء النيل مع رمي بعض النقود أو الحلوى، ثم تعود السيرة إلى المنزل قبل الغروب. (أسماء، 1986، ص 12).

تقاليد المآتم في أحياء أم درمان القديمة:

كانت المآتم في مدينة أم درمان القديمة لها طقوس كثيرة، فإن توفي أحد أفراد الأسرة سواء أن كان ذكراً أو أنثى يجتمع أهل الميت حوله بعد أن يبعدون النساء عنه، ويضعونه على العنقريب، فكانت له طقوس مصاحبة مثل: "البكاء، وحث التراب على الرأس، وتلطيف الرماد والشحم على الوجه، وتحنيط الميت، وضرب النحاس، والنوم على الأرض، وقص الشعر، ولبس الدمور، وغسل الملابس بالقرض والعطرون، وعدم أكل السكريات، والحداد لمدة سنة". (شقيز، 1967م، ص 280). أما الرجال فكانوا لا يخلقون شعورهم ولا يخلعون ملابسهم ويتركون الاستحمام لمدة أسبوع، ويوزع أهل الميت في اليوم السابع قطع "الدمور الدبلان" صدقة لروح الميت. وقد أمر الخليفة عبد الله خليفة الإمام المهدي أن تضرب النائح بالسياط، وإذا لم ينصعن لولي الأمر، ومن أقام الولائم تصادر أمواله كلها، (أمال، 1999م، ص 100).

الرواية الشفهية:

الراوي: حلمي بدوي محمد عبد الرحمن.

العمر: 58 سنة.

مكان الميلاد: حي العرب

التاريخ: 2018 / 27/9 م. الساعة: 15,6 مساء.

المجال: باحث ومهتم بمدينة أم درمان.

نص الرواية:

ذكر لي "أن أم درمان موجودة أصلاً قبل المهدية، وبعد ما جاء المهدي أنشأها كويس؟ وتوجد أحياء موجودة قبل المهدية " ذي حي العرب والموردة والعباسية والفتيحاب "التي كان اسمها ديم أبو سعد، وعندما جاء المهدي قابل ود أم مريوم في أبو سعد، وقال له إنه المهدي ويبياعه وحتى في الكلام نحن ما بنقولوا لأنه دا المسكوت عنه في تاريخنا الروايات كثيرة عن أم درمان القديمة وهي اسمها "وشل" وهي مرة نوبية للناس لما بتعرف اسم أم درمان. ورواية أخرى: بتقول إن أم درمان جاء اسمها من "دار مان" وهو ابن لأحد النساء العنج الكانت ساكنة أم درمان . وكانت أم درمان معبر للقوافل التي كانت تغشاها، وكان فيها حامية عسكرية قبل المهدية وهي تركية.

بالنسبة للمعالم الموجودة والله شوفي في كم معلم موجود، البوابة موجودة، وآبار المياه موجودة وكانت فيها آبار كثيرة موجودة وهي دمرت وثاني ما في معلم غير إنو معلم أتميزت به حي العرب عن بقية أحياء أم درمان القديمة ونحن بنفتخر به وهي معاصر الزيوت وهي الآن مكانها أصبح مخابز وأيضاً هنالك معاصر أخرى في فريق العصاير وأيضاً في معلم آخر وهو "الأندية" وطبعاً دا انتهى خالص والحي دا ذاتو سكنوه ناس كثيرين وهم "الكنوز وشايقة والأشراف" وطبعاً اتمازجت وطلعت حي العرب الموجودة الآن وزى ما بقولوا من زمان لحي العرب "أولها حلب وآخرها عرب"

نجيكي لجغرافية حي العرب دا طبعاً التقسيم القديم المسالمة قبل حي العرب وشارع الشنقطي هو شرقاً حتى المنطقة الصناعية غرباً ومن البوطة جنوباً إلي حي المظاهر شمالاً.

في ملاحظة لاحظيها ”معظم بيوت أم درمان القديمة من أسماء الحبوبات لأن الإنجليز لمن سجلوا الأراضي ما لقوا رجال قالوا ماتوا في المهدي، فقاموا سجلوها باسم الحبوبات، فمعظم بيوت أم درمان القديمة نادر تلقاها باسم رجل لأن كلهن كانن أرامل“.

بالنسبة لمسميات الأحياء هي أصلاً مسميات لأمرء المهديّة يعني زي الأمير ودنوباوي والملازمين ملازمين المهديّة وفي أحياء قديمة زي ما قلت ليك كانت قبل المهديّة زي الفرقان مثل ”فريق الرباطاب وفريق فنقر وفريق هوي ثم فريق ربيع“ وده علي سبيل المثال لكن في بعض الأحياء كانت موجودة وأساميها اتغيرت بعد المهديّة زي أبو روف وكما بقول ليكي إنو الجموعية كان قبل المهديّة استوطنوا في أم درمان القديمة من الشمال إلى الجنوب. وبرضو كانت في معالم موجودة ومهمة حتى وقت قريب من فترة المهديّة وهي مثل بوابة ”الريح“ نحنا شفناها حتى 1988م بالإهمال وعدم الاهتمام بها والعوامل الطبيعية اختفت للأسف الشديد والله أنا“ زعلان ليها زعل شديد“ لأن كل القوافل التجارية كانت بتدخل أم درمان عبر البوابة دي، وبرضو في مقابر مهمة جداً لا بد من أن أذكرها لكي هي مقابر ”الجمرية“ وكانت مباشرة جنب البوابة دي وهي على فكرة كانت ممر.

الخاتمة:

تعتبر الأحياء في مدينة أم درمان القديمة من أهم الملامح الثقافية والتاريخية للإرث الحضاري في السودان لما تتميز به من طابع ثقافي ومادي محلي متميز تفردت به أم درمان عن غيرها من مدن السودان . لذلك تعتبر معالم أم درمان بصورة عامة وأحياء أم درمان بصورة خاصة من آثار المهديّة ومن أهم المزارات السياحية في ولاية الخرطوم لما تتميز به من مبانٍ تاريخية منفردة وأسواق شعبية ، تهتم بكل أنواع الثقافة المادية والمنتوج الثقافي لإنسان المنطقة.

النتائج والتوصيات:

1. ضرورة إجراء دراسات اجتماعية وأنثربولوجية عن مدينة أم درمان والمدينة القديمة الخاصة لبعث الكثير من الظواهر والمشكلات الاجتماعية، إضافة إلى وصف جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية فيها وتحليلها.
2. لا بد من إجراء دراسات متماثلة في مدن سودانية أخرى لمعرفة الجوانب التي تغيرت والجوانب التي لم تتغير من خلال عقد مقارنات بين المراحل التي تمر بها هذه المدن، وتقديم مادة علمية عن أوضاعها المتغيرة، لا بغرض الوصف، والتحليل فقط بل من أجل الاستفادة منها علمياً في معالجة ما يفرزه التغير الاجتماعي من مشكلات اجتماعية.
3. ضرورة الاهتمام بمعالم المدينة التاريخية والأثرية لما يجعلها تتميز بطابعها التاريخي والتراثي الخاص بها.
4. لم تعد مدينة أم درمان القديمة محصورة داخل حدود المعرفة بل اتصلت مع الأحياء الأخرى، وهذا ساعد على التواصل والتفاعل مع سكان تلك الأحياء، مما أدى إلى ارتفاع كثافة السكان.
5. إن المهن التقليدية داخل أحياء أم درمان القديمة أخذت في التلاشي والاختفاء، لتحل محلها المهن الحديثة القائمة على التخصص واستخدام الآلة. بالرغم من أن هذه المهن كانت متوارثة من الآباء إلى الأبناء.

المصادر والمراجع:

المراجع باللغة العربية:

- (1) الطيب ميرغني شكاك - أحياء أم درمان -2006م.
- (2) التجاني عامر - أم درمان -2013م- مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية -شركة مطابع العملة.
- (3) أمال محمد سعد النور -نشأة مدينة أم درمان وتاريخها وتطور مجتمعتها 1885-1910 -رسالة ماجستير-جامعة أم درمان الإسلامية -1999م-غير منشورة.
- (4) أمل عمر أبو زيد خليفة -دراسة الأدوات المرتبطة بمراسم وطقوس الزواج لمدينة أم درمان الفترة (1858-1958م)-1991م-ماجستير معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية -جامعة الخرطوم -رسالة غير منشورة.
- (5) إيمان أحمد محمد علي -نسق الأسرة والقربة والزواج (دراسة ميدانية لأم درمان القديمة) -2006م-الدار العربية للنشر والتوزيع -مركز البحوث والدراسات السودانية جامعة الزعيم الأزهرى.
- (6) محمد إبراهيم أبو سليم -تاريخ الخرطوم -1979م-الطبعة الثانية -دار الجيل -لبنان.
- (7) مرغني عبد القادر -أم درمان زمان -2005م.
- (8) عثمان سوار الذهب -ملحق خاص -الجزء الأول- دار أفاق الحاسوب للطباعة والنشر.
- (9) عثمان سوار الذهب -ملحق خاص -الجزء الثاني -دار أفاق الحاسوب للطباعة والنشر.

المراجع الإنجليزية:

- (1) AsmaEL Dareer-Woman-Why Do you Weep?1986-London- Zed press-
Qand Reprint.

****الشكر الموصول:

*** الأستاذ عبد المنعم الكتيابي

***الأستاذ عبد العظيم

***الدكتور مزمل سعد

***الأستاذ عرمان حسين مقبول

***الاستاذ مهدي السيد الخليفة